مقدمة

يقوم هذا البحث على تصحيح فكرة خاطئة شاعت عن النقد العربى فى عصوره الأولى . . ويتم هذا التصحيح من خلال منهج خاص يقدمه ، ويلتزمه ، المؤلف .

أما الفكرة التى يقوم على تصحيحها فهى ما لحق بالنقاد العرب – خاصة أوائلهم ممن عاشوا أواخر القرن الأول والنصف الأول من القرن الثانى الهجرى – من تهمة التعصب على الشعراء المحدثين – خاصة المجددين منهم – ورفض شعرهم ، وتفضيل الجاهليين عليهم .

ومن هنا يجىء دور المنهج الذى يراه المؤلف ملائماً فى دراسة مثل هذه الموضوعات – فى تراثنا القديم بالذات – ويقوم هذا المنهج على مراعاة الاتجاه الكلى العام ، والنتائج النهائية لهذا الاتجاه ، دون الارتباط بجزئية واحدة معينة على أساس أن التركيز على الجزئيات – منفصلة – قد يوقع فى الخطأ – وربما التناقض – الذى تعصم منه النظرة الشاملة ، والبدء بتكوين اتجاه عام يقوم على استقراء الجزئيات بالفعل ، ليتحول – بعد ذلك – حَكَماً على هذه الجزئيات بالقبول أو الرد .

فى ضوء هذا المنهج يكون علينا أن نستعرض نماذج من المواقف

العامة لأعلام النقاد الأوائل ، وذلك فى مواجهة الدعوى المتكررة بتعصبهم على شعر المحدثين . . الأمر الذى يقتضى محاولة لتعليل الأخذ بهذه الدعوى أصلاً ، حيث تشير الدلائل إلى أن الإخلال بمقتضيات القراءة الصحيحة لنصوص النقد العربى ، وفقاً للمنهج الذى أخذنا به . . هذا الإخلال هو العامل الكامن وراء الوقوع فى هذا اللبس .

ثم تعقب ذلك محاولة للتفسير – التفسير لبعض النصوص الصريحة فى تفضيل صفة القدم على صفة الحداثة فى الشعر . وتكشف هذه المحاولة – بدورها – عن علة أخرى لدعوى تعصب أوائل النقاد للقديم ، على أساس عدم الفهم لطبيعة المهمة المزدوجة التى كان عليهم الاضطلاع بها . . أعنى العمل على تنقية اللغة وجمع نماذجها الصالحة لاستنباط القواعد منها ، وفى نفس الوقت القيام بعملية التقويم – من زاوية فنية – لتراث الشعر ، السابق عليهم والمعاصر لهم ، وهو ما دعا إلى تعدد فى المواقف ، أدى – بدوره – إلى تضارب ، فى الظاهر ، بين القبول والرفض بعيداً عن قضية التعصب المطلق للقديم ضد المحدث .

د . عبد الحكيم راضى

مدرس البلاغة والنقد

كلية الآداب – جامعة القاهرة